

الرَّسَالَةُ ١٩١

أَبُونَا السَّمَاوِيُّ يَعْلَمُ

(Arabic – Our heavenly Father knows.)

أحبائي.. حديثنا اليوم مَوْضُوعُهُ: أَبُونَا السَّمَاوِيُّ يَعْلَمُ

ومن إنجيل متى الأصحاح السادس نقرأ من العَدَدِ الحَادِي والثلاثين إلى الثالث والثلاثين:

"فلا تهتموا قائلين: ماذا نأكلُ أو ماذا نشربُ أو ماذا نلبسُ. فإن هذه كلها تطلبها الأمم. لأن أبائكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها. لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره. وهذه كلها تزداد لكم".^١

إن حُسنَ الظنِّ يقودنا إلى التفكير بأنَّ التقدُّمَ الحضاري وانتشار العلم والمعرفة يُحدثُ تحسُّناً في العلاقات البشريَّة. وأنه بتعدُّد وسائل الإعلام يستطيع من يجهل الأسلوب القويم في التعامل أن يتعلم شيئاً ممن تعلم. ويستتبرئ من تخلف عن ركب الثقافة والإحاطة بالسلوك الأخلاقي ممن استنار وتقف. ولكن للأسف ما نراه بأعيننا هو أن من سبقونا كانوا على مستوى أفضل في علاقاتهم الإنسانيَّة والأسريَّة من جيلنا الحالي مع تقدُّمنا عما سبق من أجيال في العلوم والفنون بما لا يقاس. ولا نستطيع أن نستتعي مجتمعاً من المجتمعات أو بيئة من البيئات.^٢

ويهمني في حديثي اليوم أن أناقش مع أحبائي القراء علاقة الآباء بالأبناء. وعلاقة الأبناء بالآباء. ففي العصور القديمة كان عقوق الأبناء أمراً شاذاً. والولاء للوالدين هو الأمر الطبيعي الذي اعتادوه. ولكن في عصورنا الحديث نلاحظ أن العقوق هو الأمر الذي اعتدناه. والولاء للوالدين أصبح عملة صعبة. ولقد كان في العصور القديمة حرص الآباء على أولادهم والتضحية بالنفس والنفيس من أجلهم أمر لا يختلف فيه إثنان. أما في عصورنا الحاضر فالترام الآباء برعاية أولادهم وقيام الوالدين بالواجب المفروض عليهم نحو من أنجبوهم أمر لا يتفق فيه إثنان. وفي أكثر البلاد حضارة تزداد المشكلة تعقيداً. وحين يجري الحديث عن الأب والأبوة يمتعض الغالبية ويصارحون بالقول: أين الأب وأين الأبوة؟! إنها أسماء بلا معنى. أو أنها أسماء بمعنى يُوسف.^٣

تعتريني الدهشة كلما أتأمل كلمات الرب يسوع في إنجيل متى الأصحاح السابع. إذ يقول الرب يسوع: "فإن كنتم وأنتم أشراراً تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيِّدة". فكم بالحرى أبوكم الذي في السموات. يهب خيراتٍ للذين يسألونه. منذ ألقى سنة كان الآباء حتى الأشرار منهم يعرفون أن يعطوا أولادهم عطايا جيِّدة. وبعد ألقى سنة من ميلاد السيد المسيح. قليل من الآباء هم الذين يعرفون وأجبتهم وهو أن يعطوا أولادهم عطايا جيِّدة. سمعتُ سيِّدة مسيحية تقول: إن محبة الأب السماوي تختلف عن محبتنا كأباءٍ وأمّهات. أحببنا بقولي: لا اختلاف. لأن الأب السماوي خلق في الآباء عاطفة الأبوة. وخلق الأمومة وأودعها قلب الأم في أودع صورة. إنها غريزة لا تأتي بالتعليم ولكنها بالفطرة. ليست الأبوة أو الأمومة منهج يتعلمونه بل غريزة يولد بها كل من الجنسين.^٤

وتلك العاطفة الغريزية أودعها الله في الحيوانات باختلاف أنواعها. والعجيب أن الحيوانات لا زالت بفطرتها الطبيعية تحتفظ بغريزتها التي حبأها الله بها. ولكن ما يُوسف أن الإنسان انحرف وشذ في غرائزه ونزعاته الفطرية. ما كنت أود أن أسترسل في حديث كهذا. ولكنها الحقيقة المؤلمة التي يجب أن ندركها لنتداركها وإلا هبط مستوانا الإنساني ونحن لا ندري إلى المستوي الأدنى من مستوي المخلوقات الأدنى. وهل هناك مستوى أدنى للوالدين من الإساءة لأبنائنا وبناتنا. بالاعتداء على شرفهم وكرامتهم منذ نعومة أظفارهم؟. مما جعل بعضاً من الأجيال الحديثة من الأولاد والبنات يستجوبون الحديث عن آباءهم وأمّهاتهم وأتهم ليسوا القدوة الحسنة لهم.

استمع إلى الإنجيل

^١ إنجيل متى ٦: ٣١ - ٣٣ ،

^٢ رسالة بولس الرسول إلى تيطس ١: ١٦

^٣ رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٣: ١ - ٤

^٤ إنجيل متى ٧: ٩ - ١٢

وينسيون أبشع الصفات وإبغض الأسماء للأبوة في عصرنا الحديث الذي أصبح فيه الشذوذ الجنسي قضية العصر التي نتناولها وسائل الإعلام بالتحليل والدراسة. وناه الخط الفاصل بين الحلال والحرام.^١

ليتنا نتغير. ليتنا نأتي مُعترفين بنقصنا. ليتنا نأتي إلى الكامل ليكملنا. لنصبح خليفة جديدة في المسيح يسوع. بعواطف جديدة وبمحببة جديدة. من الأب والأم نحو أولادهما. ومن الأولاد نحو آبائهم وأمهاتهم. وليس سوى الرب " ليرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم" كما جاء بسفر ملاخي في آخر صفحات العهد القديم. فإن لم تكتحل عيننا الابن برؤية محبة الأبوة نقية طاهرة من أبيه. والابنة برؤية عطف الأمومة الصادقة من أمها. سيكتفيا بمرأها وفهم معناها بوضوح في عالم طبائع الحيوان الذي يشاهدونه في برامج التليفزيون.^٢

قال الرب يسوع في موعظته على الجبل: "فكونوا أنتم كاملين كما أن آباكم الذي في السموات هو كامل" إن الآباء حتى الأشرار منهم يعرفون أن يعطوا أولادهم عطايا جيدة فكم بالأحرى نتنتظر من الأب السماوي الذي يعلم ما نحتاج إليه قبل أن نسأله. فقد قال الرب أيضا: لأن آباكم السماوي يعلم أنكم نحتاجون إلى هذه كلها ثم قال: "اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزداد لكم"^٣ وبتأملنا للنصوص السابقة نرى أمورا هامة نوجزها في ثلاثة:

أولا: الأب السماوي يعلم.. لا يجوز لأولاد الله أن يهتموا قائلين: "ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس" لأن الأب السماوي يعرف مسؤوليته نحو أولاده. لا يتركهم جياعا أو عطاشا أو دون كساء. فإن جاز أن ننسب نقصا لآباء أرضيين فلا يجوز أن ننسب للأب السماوي وهو الكامل جل جلاله. ولقد وعد قائلنا: أكون معك لا أهلك ولا أتركك. إن طيور السماء لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن والآب السماوي يقوتها. أسيئا بالحرى أفضل منها؟. يجب أن نستبد إلى الحق المعلن أن الأب السماوي يعلم احتياجنا قبل أن نسأله ويوفره لنا.^٤

ثانيا: المؤمن يطلب أولا ملكوت الله وبره.. لا مانع أن نطلب إذ مكتوب اطلبوا تجدوا. لأن كل من يطلب يجد. ولكن لنتعلم أن نضع طلباتنا في ترتيبها اللائق لأن هناك أولوية ولا يجوز للمؤمن أن يهتم بقوت الجسد قبل أن يطلب الطعام الباقي للحياة الأبدية؟. إن ملكوت الله وبره أمر خلقنا الله لنحيا من أجله ونسعى أولا لدخوله. لنتعلم من بولس الرسول الذي كانت محبة المسيح هي طعامه وشرابه وسر سعادته. قال في رسالته إلى مؤمني رومية: "من سيفصلنا عن محبة المسيح أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم حرى أم خطر أم سيف كما هو مكتوب إنا من أجلك ن مات كل النهار قد حسبنا كغنم للذبح ولكنا في هذه جميعها نعظم انتصارنا بالذي أحبنا."^٥

ثالثا: المؤمن راحته وشبعه وسلامه يتواجد في محضر الرب.. لقد وعدنا الرب يسوع بأن الماديات كلها تزداد لنا. إن المؤمن الحقيقي حينما يدخل إلى المقاديس ويتواجد أمام عرش الله ويمتلئ في حضرة العلي. يجد راحته وشبعه وراحته وسلامه. لأن المركز الذي يتمتع به المؤمن حين يتواجد في محضر الرب لا تعادله كنوز العالم وأفخر أطعمته وأحلى شرابه وأبدع زيناته. إن ذلك الذي يصدق علينا بالشبع الروحي لا يدخل علينا بحاجات الجسد الفاني. فهذه كلها تزداد لنا من رب الأرباب وملك الملوك. الذي افتدانا "لا بأشياء تقنى بفضة أو ذهب من سيرتنا الباطلة بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح. معروفا سابقا قبل تأسيس العالم."^٦

أدعوك أحي لتتشارك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. أشكرك يا من سألتك فأجبتني. وإذ طلبتك فبجودك غمرتني. ودعوتك فأسرعت بمعونتي. صرخت إليك فرحمتني. وبذراعي محبتك احتوتني. في مراع خضر أربصنتني. وإلى مياه الراحة أوردتني.. أرفع صلاتي في اسم يسوع فادئ ومخلصي من الهلاك. ومأنجي السلام والحياة الأبدية.. منكلا على وعدك الصادق.. يا من قلت: من يقبل إلى لا أخرجته خارجا.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ رسالة بولس الرسول إلى مؤمني رومية ١: ٢٦ - ٣٠

^٢ رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمني كورنثوس ٥: ١٧ ، سفر ملاخي ٤: ٥ - ٦

^٣ إنجيل متى ٥: ٤٨

^٤ إنجيل متى ٦: ٢٥ - ٣٤ ، سفر يشوع ١: ٥

^٥ إنجيل متى ٧: ٧ - ٨ ، إنجيل يوحنا ٦: ٢٧ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمني رومية ٨: ٣٥ - ٣٧

^٦ سفر المزمير ٧٣: ٣٨ ، رسالة بطرس الرسول الأولى ١: ١٨ - ٢٠